https://farid.ps/articles/rainbow_flags_wont_conceal_genocide/ar.html

أعلام قوس قزح لن تُخفي الإبادة الجماعية

حتى نهاية عام 2023، كنت أرفع علم قوس قزح - رمز الفخر والتضامن المثلي - على ملفي الشخصي في تويتر/إكس، لكن عندما بدأت بالتحدث علنًا دعمًا لغزة والشعب الفلسطيني، تم تسييس هذا الرمز ضدي. بدلاً من نقاش منطقي قائم على الحقائق، جذبت منشوراتي هجمات شخصية مصممة لتشويه سمعتي وإسكاتي. بعضها كان مغلفًا بالقلق: "أنت تعرف ماذا يفعلون بالمثليين في غزة". والبعض الآخر كان صريحًا وقاسيًا، مستخدمًا ميمات مثل "المثليون من أجل فلسطين مثل الدجاج من أجل كنتاكي"، أو إعادة تدوير التروب البالي بأنني "سأُرمى من سطح" لو كنت هناك. كانت تجربة مشتركة - ومؤكدة - من قبل العديد غيري.

هذه السردية ليست مجرد تبسيطية؛ إنها تلاعب سياسي، غير صادقة تاريخيًا، وغير دقيقة واقعيًا. الادعاء المتكرر بأن المثليين يُعدمون برميهم من الأسطح في غزة ليس مبنيًا على أي حالات موثقة تشمل فلسطينيين أو السلطات الحاكمة في غزة. بل إنه ينبع من فيديوهات دعائية لداعش - ليس من حماس، وبالتأكيد ليس من الشعب الفلسطيني الأوسع. **لا يوجد دليل موثوق** على أن إعدامات علنية للمثليين حدثت بالطريقة التي يقترحها هؤلاء النقاد.

ما نشهده هو حالة كلاسيكية من **الغسيل الوردي (pinkwashing)**: تسييس حقوق المثليين لصرف الانتباه عن أو إضعاف نضال من أجل العدالة. إنه خدعة بلاغية تخبر المثليين بأنهم يجب أن يختاروا — إما دعم حقوق المثليين أو تحرير فلسطين، لكن ليس كليهما.

المثلية الجنسية والإسلام: ما وراء السردية المُسَيَّسة

يعتمد الكثير من الهجوم البلاغي على المثليين الداعمين لفلسطين على تعميمات شاملة حول الإسلام وعدائه المزعوم الاستثنائي تجاه المثليين. التلميح هو أن الهوية المثلية والإيمان الإسلامي غير متوافقين جوهريًا، وأن التضامن مع شعب ذي أغلبية مسلمة ساذج أو حتى مدمر ذاتيًا للأفراد المثليين.

هذا الإطار ليس إسلاموفوبيًا فحسب؛ بل هو غير سليم تاريخيًا ولاهوتيًا أيضًا. الفقه الإسلامي التقليدي، مثل العديد من الأنظمة القانونية الدينية، يثني عن الأفعال المثلية. يشير القرآن إلى قوم **لوط**، الذي غالبًا ما يُستشهد به كإدانة للسلوك الجنسي بين الذكور. ومع ذلك، هذه الآيات أكثر غموضًا مما تُصوَّر. تركز على **عدم الضيافة، والإكراه، والفساد**، وليس على الحب التوافقي أو الهوية الجنسية. بخلاف لاويين 20:13 في التوراة — "إذا اضطجع رجل مع ذكر اضطجاع امرأة، فقد فعلا رجسًا؛ يُقتلان قتلًا" — فإن القرآن **لا يصف عقوبة** للعلاقة الحميمة المثلية.

الأحاديث (الأقوال المنسوبة إلى النبي محمد، صلى الله عليه وسلم)، التي تشكل الكثير من الشريعة الإسلامية، تحتوي على إشارات متنوعة وغالبًا ما تكون محل نزاع حول السلوك المثلي. الأهم، **لا يوجد سجل خلال حياة النبي** لأي شخص تم معاقبته لكونه مثليًا. التعليم الأخلاقي الإسلامي تقليديًا يركز على **الخصوصية، والتقدير، والتوبة**، وليس على المراقبة أو التشهير العلني.

في الواقع، الحضارة الإسلامية لها تاريخ غني ومعقد بشأن الجنس والجندر. الشعر العربي الكلاسيكي مليء بالصور المثلية الجنسية. الصوفية، باستعاراتها عن الحب الإلهي، غالبًا ما تتجاوز الحدود الجندرية الصارمة. علماء مثل **سكوت سراج الحق كوغل** و**أمينة ودود** قدموا تفسيرات تقدمية لقصة لوط، محاججين بأنها تدين العنف الجنسي الإكراهي، وليس الحب المثلي التوافقي.

هذا التنوع في التفسير موجود عمليًا، وليس نظريًا فقط. المسلمون المثليون موجودون، ينظمون، يقاومون، ويزدهرون. تسييس الإسلام لتشويه المثليين الداعمين لفلسطين لا يمحو هذه الأصوات فحسب؛ بل يختزل تقليد إيماني كامل إلى أداة في حرب ثقافية.

جذور الاستعمار في تجريم المثلية: جدول زمني لرهاب المثلية المستورد

فكرة أن رهاب المثلية المؤسسي سمة جوهرية في المجتمعات العربية أو الإسلامية تنهار تحت التدقيق. السجل التاريخي يظهر أن **الأنظمة القانونية الإسلامية ما قبل الحديثة لم تجرم المثلية بنفس الطريقة التي فعلتها أوروبا**. بدلاً من ذلك، يمكن تتبع تدوين قوانين مناهضة للمثليين في العالم العربي إلى **الاستعمار الأوروبي**، وليس القرآن.

عبر قرون من الحكم الإسلامي - من الأمويين إلى العثمانيين - لم يكن هناك قانون عقابي موحد يحظر العلاقات الحميمة المثلية. المواقف الاجتماعية قد تكون محافظة، وعلماء الدين ناقشوا أخلاقيات سلوكيات مختلفة، لكن الأنظمة القانونية في هذه المجتمعات **نادرًا ما أولوا مراقبة السلوك الجنسي الخاص**، خاصة إذا لم يهدد النظام العام. علاوة على ذلك، التقاليد الأدبية والفنية الغنية في العالم العربي-الإسلامي - مليئة بالشعر المثلي، والصداقات الحميمة بين الذكور، وتصوير الرغبة المثلية - تكشف عن مساحة ثقافية، معقدة ومتناقضة أحيانًا، لم تشكلها الاضطهاد القانوني للمثليين كما في أوروبا.

بالمقابل، في **أوروبا المسيحية**، تم تجريم الأفعال المثلية بشدة، غالبًا تحت طائلة الموت. الأنظمة القانونية في العصور الوسطى والحديثة المبكرة - من المحاكم التفتيشية إلى القانون المشترك البريطاني - وصفت عقوبات مروعة لـ"اللواط"، بما في ذلك الحرق، والشنق، والتشويه. في بعض المناطق، مثل الأراضي الخاضعة للهابسبورغ على نهر الدانوب، تصف السجلات التاريخية حكم المشتبه بهم المثليين بـ**سحب السفن عكس التيار** كشكل من أوبة الإعدام بالإرهاق والتعرض. هذه العقوبات لم تكن هامشية بل **مؤسسية**، مدعومة من الكنيسة والدولة على حد سواء.

عندما استعمرت القوى الأوروبية العالم العربي، صدّرت هذه القوانين. فلسطين مثال رئيسي:

الفترة	الوضع القانوني للمثلية في فلسطين
قبل 1917	**غير مجرمة** بموجب القانون العثماني
1929	الانتداب البريطاني يفرض **المادة 152** (مناهضة اللواط)
1951	**إلغاء التجريم في الضفة الغربية** بموجب قانون العقوبات الأردني
1967–الآن	غزة تحتفظ بالقانون الاستعماري البريطاني؛ **لا محاكمات معروفة منذ 1994** (هيومن رايتس ووتش)

هذا القوس التاريخي حاسم: **اضطهاد المثليين قانونيًا في فلسطين بدأ تحت الحكم البريطاني**، وليس الحكم الإسلامي. اليوم، غزة تحتفظ تقنيًا بالقانون الاستعماري، لكن **لم تسجل محاكمات بموجبه منذ عقود**. في الوقت نفسه، **دولة إسرائيل**، التي غالبًا ما تُمجد كملاذ للمثليين، **رفضت اللجوء لأكثر من 99% من المتقدمين الفلسطينيين المثليين**. التباين يكشف عن فراغ "علامة إسرائيل التجارية" — سردية تستخدم حقوق المثليين لـ**إخفاء الاحتلال والأبارتهايد**.

فهم هذا التاريخ مهم. يتحدى السردية البسيطة التي تفترض انقسامًا حضاريًا بين غرب صديق للمثليين وشرق رهابي لهم. كما يعيد تأكيد وكالة العرب والمسلمين المثليين الذين ليسوا ضحايا ثقافتهم، بل ناجين من **القمع المحلي والعنف الاستعماري المستورد**.

آلان تورينغ: المرآة الغربية

لنفهم تمامًا قسوة وغرابة تجريم الوجود المثلي، نحتاج فقط إلى النظر إلى إحدى أكثر القصص مأساوية وكاشفة في القرن العشرين: قصة **آلان تورينغ**. اليوم، اسم تورينغ معروف على نطاق واسع بفضل **اختبار تورينغ**، مفهوم أساسي في الذكاء الاصطناعي وأساس أنظمة CAPTCHA الحديثة عبر الإنترنت. لكن إرثه الحقيقي أعمق بكثير - كان عالم الرياضيات والمحلل التشفيري اللامع الذي **صمم الآلة التي كسرت شيفرة الإنيغما الألمانية**، مساهمة حاسمة في انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية.

عمل تورينغ في **بلتشلي بارك** بقي سريًا لسنوات، لكنه الآن مفهوم أنه **قصر الحرب بما يصل إلى عامين**، مما أنقذ ملايين الأرواح. في أي مجتمع عادل، كان سيُحتفل به كبطل وطني، يُكرم في حياته، ويُذكر بالامتنان والاحترام. لكن آلان تورينغ كان مثليًا. وفي بريطانيا الخمسينيات، **كان ذلك جريمة**. مثل العديد من الرجال المثليين في عصره، أُجبر تورينغ على عيش حياة مزدوجة - يتسلل خارج منزله للقاء شركائه سرًا.

عندما أبلغ تورينغ عن سرقة في منزله، مشتبهًا بتورط شريكه الأخير، أرنولد موراي، كشف في النهاية عن علاقتهما أثناء استجواب الشرطة. ما بدأ كتحقيق روتيني في بضائع مسروقة تحول بسرعة إلى محاكمة بتهمة **"الفحش الجسيم"** - نفس التهمة التي دمرت أوسكار وايلد. المحقق الرئيسي، رغم رؤيته للقضية تتجاوز نيتها، اعتذر لاحقًا لتورينغ، متأسفًا لأن تعاونه أطلق آلة قضائية لا يمكن إيقافها.

رغم خدمته في الحرب وعبقريته العلمية، حُوكم تورينغ وأُدين. عرضت المحكمة عليه خيارًا: السجن أو الإخصاء الكيميائي. اختار الأخير، "علاج" مزعوم يتضمن إستروجين صناعي لقمع الرغبة الجنسية. الآثار الجانبية كانت مروعة. عانى تورينغ من **تثدي الرجال (نمو الثدي)، الاكتئاب، والتدهور العقلي**. العقل النابض الذي ساعد في إنقاذ أوروبا من الفاشية كان الآن يُدمر بقسوة مدعومة من الدولة. في 1954، في سن 41 عامًا فقط، **انتحر تورينغ** بقضم تفاحة مشبعة بالسيانيد.

عقودًا لاحقًا، بعد صرخات الاحتجاج العامة وتسوية وطنية بطيئة، حصل تورينغ على عفو ملكي بعد وفاته. لكن التاريخ لا يمكن التراجع عنه. رجل أعطى كل شيء لبلد رد عليه بالعار والعقاب فُقد - ليس في الحرب، بل بسبب القوانين التي ادعت حماية المجتمع. قصة تورينغ ليست مجرد مأساة - إنها إدانة. تجريم حياة المثليين لم يكن أبدًا عن الحماية. كان دائمًا عن **السيطرة، الخوف، ومراقبة الرغبة**. وعندما تندد الأصوات الغربية اليوم بثقافات أخرى بسبب رهاب المثلية، فإنها تفعل ذلك بـ**ذاكرة انتقائية**. القوانين التي قتلت تورينغ ولدت في لندن، وليس مكة، وموته يقف كتوبيخ صامت لأسطورة التفوق الأخلاقي الغربي.

عنف الجندر وأسطورة البطريرك المتحضر

عندما يصور المعلقون الغربيون المجتمعات العربية والمسلمة كـ"همجية" أو "متخلفة" بشكل فريد في قضايا حقوق الإنسان، نادرًا ما يتحدثون من مكان صدق تاريخي. هذا ليس مضللًا فحسب - إنه إسقاط. نفس المجتمعات التي تدعي التفوق

الأخلاقي اليوم كانت، حتى وقت قريب بشكل صادم، تدعم معايير بطريركية عنيفة بعمق داخل أنظمتها القانونية الخاصة - غالبًا بدعم قوة الدولة.

خذ، على سبيل المثال، قضية **العنف المنزلي واغتصاب الزوجة**. في المجتمعات العربية والمسلمة، بينما كانت هناك دائمًا هياكل بطريركية - كما في جميع الثقافات - فإن فكرة أن الرجل لديه حق غير محدود في ضرب أو انتهاك زوجته جنسيًا كانت **غير مقبولة اجتماعيًا**، حتى لو لم تكن مجرمة دائمًا. عندما يتجاوز رجل هذه الحدود - يضرب زوجته، يؤذي أطفاله، أو يتصرف بعنف - غالبًا ما يواجه سلوكه **تدخل مجتمعي**. الشيوخ، أفراد العائلة، أو الأقران يواجهونه، وإذا استمر، يمكن لزوجته وأطفاله طلب اللجوء إلى **العائلة الممتدة، الأصدقاء، أو الجيران** دون عار اجتماعي.

كان مفهومًا: بعض السلوكيات تجعل الرجل ببساطة **غير لائق ليكون رب أسرة**، بغض النظر عن تدخل الدولة.

الآن قارن ذلك بـ**أوروبا وأمريكا الشمالية** في أوائل ومنتصف القرن العشرين. في دول مثل المملكة المتحدة، فرنسا، والولايات المتحدة، اعترف القانون بـ**"حقوق الزوجية"** للزوج - تعبير مهذب عن **اغتصاب الزوجة**، الذي لم يُعترف به قانونيًا كجريمة في العديد من الدول الغربية حتى **أواخر القرن العشرين أو حتى أوائل القرن الحادي والعشرين**. في المملكة المتحدة، **كان اغتصاب الزوجة قانونيًا حتى 1991**. في أجزاء من الولايات المتحدة، كان **قانونيًا حتى التسعينيات أو لاحقًا**. هذه القوانين لم تسمح بالإساءة فحسب - بل شرعنتها.

العقاب الجسدي للزوجات والأطفال لم يُتسامح معه فحسب - بل **شُجع علنًا**. منح الرجال سلطة قانونية على عائلاتهم، وتأديبهم بالعنف كان يُعتبر ممارسة خاصة، بل مسؤولة، لهذه السلطة. يمكن للرجل ضرب زوجته لـ"الرد"، حرمانها من استقلاليتها، وعزلها قانونيًا عن العالم الخارجي. إذا هربت امرأة من زوجها المسيء، كانت تخاطر بفقدان أطفالها، ممتلكاتها، ومكانتها الاجتماعية. هذا ليس تاريخًا قديمًا. هذه كانت القوانين **أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية**، في نفس الدول التي كانت تجرم المثلية، تستعمر الجنوب العالمي، و**تخبر العالم أنها حاملة لواء الحضارة**.

لذا عندما يرفع النقاد المعاصرون في الغرب حقوق المثليين أو حقوق المرأة كدليل على التفوق الأخلاقي الغربي على المجتمعات العربية أو المسلمة، فإن النفاق مذهل. ليس فقط أن مثل هذه الحقوق **تطور حديث ومكتسب بصعوبة** في الغرب نفسه، بل الإطار يمحو **الأنظمة القائمة، المتجذرة ثقافيًا للمساءلة** التي وجدت في المجتمعات غير الغربية لأجيال. محو هذا السياق ليس عرضيًا. يسمح للقوى الغربية بالحفاظ على وهم القيادة الحضارية بينما تتجاهل **تاريخها الخاص** و**الأضرار التي ألحقتها** بالمجتمعات التي استعمرتها - غالبًا ما دمرت أو أزاحت الهياكل المجتمعية التي قدمت الحماية سابقًا.

الغسيل الوردي كسياسة دولة

حملة "علامة إسرائيل التجارية"، التي أطلقتها وزارة الخارجية في 2005، روجت صراحةً لتل أبيب كملاذ صديق للمثليين. هذا الجهد لم يكن فخرًا عضويًا؛ كان **دعاية دولة**. بينما تعرض أعلام قوس قزح في الخارج، **قلصت إسرائيل التمويل للخدمات المثلية المحلية** واستمرت في قمع الفلسطينيين تحت الاحتلال. مجموعات مثليين إسرائيلية مثل **الغسيل الأسود (Kvisa Shchora)** احتجت على هذا الاستيلاء، رافضة السماح باستخدام هوياتهم لتلميع الأبارتهايد. كما قال نشطاء الغسيل الأسود:

> **"لا يمكنك الاحتفال بالفخر على أرض محتلة. تحررنا لا يمكن أن يأتي على حساب قمع شعب آخر."**

كذلك، منظمات مثليين فلسطينية مثل **القوس** و**المثليون الفلسطينيون من أجل مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات (PQBDS)** رفضت الغسيل الوردي منذ زمن. قالت PQBDS:

> **"نضالنا ليس للاندماج في دولة عنصرية، بل لتفكيك تلك الدولة."**

هذه الأصوات نادرًا ما تُسمع في الخطاب الغربي السائد، الذي يفضل توظيف المثلية كتبرير للعسكرة، بدلاً من تضخيم الأشخاص الذين يعيشون في تقاطعاتها.

لذا عندما تسخر أو تندد الأصوات الغربية بالمجتمعات العربية والمسلمة بسبب معاملتها للأفراد المثليين، فإن ذلك نادرًا ما يكون تضامنًا مع المثليين على الأرض. أكثر ما يكون، يعمل كـ**تروب إسلاموفوبي** - طريقة لتصوير المسلمين كغير متسامحين لا يمكن إصلاحهم وغير مستحقين لتقرير المصير. إنه تكتيك استعماري قديم مغلف بلغة تقدمية.

تحرير المثليين غير مكتمل بدون عدالة لفلسطين

عندما يُقال للمثليين إن التضامن مع فلسطين يعني الوقوف مع رهاب المثلية، يجب أن ندرك الاستراتيجية: **ليس الأمر عن حماية حياة المثليين**. إنه عن **حماية سلطة الدولة**.

ادعاء أن تحرير المثليين ينتمي للغرب ليس خاطئًا فحسب - إنه خطير. كما يظهر التاريخ:

- المثلية **لم تُجرم في المجتمعات العربية أو الإسلامية** حتى فرضت القوى الاستعمارية الأوروبية قوانينها.
- العنف المنزلي واغتصاب الزوجة كانا **محميين قانونيًا في الغرب** لفترة طويلة في العصر الحديث.
- اليوم، **المثليون الفلسطينيون يُرفض لجوؤهم من إسرائيل**، حتى وهي تروج لنفسها كيوتوبيا مثلية.

الأنظمة التي تراقب المتحولين جنسيًا في الولايات المتحدة، تُرحل طالبي اللجوء المثليين في المملكة المتحدة، وتقصف المستشفيات في غزة مترابطة. تحرير المثليين لا يمكن فصله عن النضال ضد الاستعمار. ليس صدفة؛ إنه **استراتيجية للبقاء الجماعي**.

> **"تحررنا مرتبط معًا"**، كما قال منظمو المثليين منذ زمن. ليس كاستعارة، بل كواقع مادي.

الوقوف مع فلسطين ليس تناقضًا لهوية المثليين. إنه إكمال لها. أن تكون مثليًا ومناهضًا للاستعمار، مثليًا ومناهضًا للأبارتهايد، مثليًا ومؤيدًا لفلسطين، ليس نفاقًا. إنه تماسك.

التضامن الحقيقي لا يطلب منا إنكار من نحن. يطلب منا **رفض النصوص المكتوبة من قبل أصحاب السلطة** - أولئك الذين يحولون هوياتنا إلى أدوات للانقسام. يطلب منا الاستماع إلى المثليين الفلسطينيين، دعم حقهم في الوجود بكل تعقيدهم، والنضال إلى جانبهم من أجل عالم لا يُزاح فيه أحد، يُدهمن، أو يُحرم من الكرامة.

المثليون لا يدينون بالولاء لإمبراطوريات جرمتهم أمس وتوظفهم اليوم. لا نحتاج للاختيار بين هوياتنا ومبادئنا. نحن لسنا دعائم للسلطة. نحن بشر. وسنكون أحرارًا - **معًا**.

المراجع

- منظمة العفو الدولية. (2022). **أبارتهايد إسرائيل ضد الفلسطينيين: نظام قاسٍ للسيطرة وجريمة ضد الإنسانية**.

- القوس للتنوع الجنسي والجندري في المجتمع الفلسطيني. **عملنا**.
- بوسويل، ج. (1980). **المسيحية، التسامح الاجتماعي، والمثلية**. مطبعة جامعة شيكاغو.
- الروايحب، خ. (2005). **قبل المثلية في العالم العربي-الإسلامي، 1500–1800**. مطبعة جامعة شيكاغو.
- هيومن رايتس ووتش. (2021). **عتبة تم تجاوزها: السلطات الإسرائيلية وجرائم الأبارتهايد والاضطهاد**.
- مسعد، ج. (2002). "إعادة توجيه الرغبة: الدولي المثلي والعالم العربي." **الثقافة العامة**، 14(2)، 361–385.
- المثليون الفلسطينيون من أجل مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات. (2010). **بيان حول الغسيل الوردي**.
- غسيل إسرائيل الوردي. **ما هو الغسيل الوردي؟**
- رحمن، م. (2014). **المثليات، الثقافات المسلمة والحداثة**. بالغريف ماكميلان.
- العفو الملكي عن آلان تورينغ. (2013). **بيان صحفي لحكومة المملكة المتحدة**.
- تورينغ، د. (2015). **البروفيسور: آلان تورينغ مفكك الشيفرات**. ذا هيستوري برس.
- برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (UNDP). (2021). **كونك مثليًا في المنطقة العربية**.
- ويتيكر، ب. (2006). **حب لا يُنطق به: حياة المثليين والمثليات في الشرق الأوسط**. مطبعة جامعة كاليفورنيا.